

فائدة في قول الشاطبي رحمه الله: "وَقُلْ بَلْ وَهَل رَأَاهَا لَيْبٌ وَيَعْقِلًا"

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في باب اتِّفَاقِهِمْ فِي إِدْغَامِ إِذْ وَقَدْ وَتَاءِ التَّأْنِيثِ وَهَلْ وَبَلْ: " (٢٧٤) وَلَا خُلْفَ فِي الإِدْغَامِ إِذْ ذَلَّ ظَالِمٌ ... وَقَدْ تَيَّمَت دَعْدٌ وَسِيماً تَبْتَلًا، (٢٧٥) وَقَامَت تُرْبُهُ دُمِيَّةٌ طِيبٌ وَصَفِيهَا ... وَقُلْ بَلْ وَهَل رَأَاهَا لَيْبٌ وَيَعْقِلًا". وقد اختلف شُرَّاحُ الشَّاطِبِيَّةِ فِي قَوْلِ الشَّاطِبِيِّ: "وَقُلْ بَلْ وَهَل رَأَاهَا لَيْبٌ وَيَعْقِلًا"؛ هل قصد الشاطبي (قل) في النظم مع {هل} و {بل} أم وقعت منه كلمة (قل) تتميماً للبيت فقط؟

١. بعض الشُّرَّاحِ لم يعتبر (قل) مقصودة في النظم، بل أتت تتميماً للبيت: قال السخاوي (ت ٦٤٣

ه): "لا خلاف في إدغام تاء التأنيث في التاء للمماثلة، وفي الدال والطاء للتقارب، ولا خلاف في إدغام لام {هل} و {بل} في الراء واللام لذلك أيضاً"، فتح الوصيد (١/ ٤٣٤). فلم يذكرها في الشرح، ولم يمثّل لها بأمثلة، ولم يُشِيرْ إلى احتمال كونها مقصودة في النظم مع {هل} و {بل}.

٢. بعضهم ذهب إلى جواز احتمال الوجهين: قال أبو شامة (ت ٦٦٥ ه): "ثم ذكر أن اللام من {هل}

و {بل} واجبة الإدغام في مثلها نحو: {بَلْ لَا تُكْرِمُونَ}، {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ}، وفي الراء؛ لقرنها منها نحو: {بَلْ رَانَ}، {هَلْ رَأَيْتُمْ}، واللام من {قُلْ} مثلها في ذلك نحو: {قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ}، {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ}، فيجوز أن يكون قصد ذلك في قوله: "وَقُلْ بَلْ وَهَلْ"، أي لام هذه الكلمات الثلاث تدغم

في مثلها وفي الراء، ويجوز أن يكون لم يقصد ذلك وإنما وقع منه كلمة (وقل) تتميماً للنظم كما وقع مثل ذلك في كلم عديدة من هذه القصيدة، وهذا الوجه هو الظاهر؛ لأن الباب معقود فيما اتفق عليه من إدغام ما سبق الخلاف فيه، والذي سبق ذكره من الالامات المختلف فيها هو لام {بل}، و {هل}، ولم يجمع هذا الباب ذكر جميع ما اتفق عليه ولهذا لم يذكر {قل} في ترجمة الباب"، إبراز المعاني (ص ١٩٣). ووافقه شُعْلَةُ (ت ٦٥٦ ه)، في كنز المعاني (١/ ٥٢٩). وذهب الجعبري (ت ٧٣٢ ه) إلى

قريب من هذا، فقال: "ولفظة (قُل) يحتمل أن تكون مقصودة لشمول الحكم، وأن تكون غير مقصودة لخروجها عن الترجمة"، كنز المعاني (٧٥٠/٢)؛ فنصَّ على احتمال الوجهين ولكنه لم يرجح شيئاً.

٣. بقية الشرح ذهبوا إلى أن "قل" مقصودة في النظم مع هل وبل: قال الفاسي (ت ٦٥٦ هـ) بعد أن مثَّل ل: {قل} بعدة أمثلة: "ولم يذكر -أي الشاطبي- {قل} في ترجمة الباب مع {هل}، و{بل} لكنه لمَّا دخل معهما في الحكم المذكور ألحقه بهما، وكذلك قوله: (وَمَا أَوْلَ الْمُثَلِّينِ...) إلى آخر البيت غير داخلٍ في الترجمة أيضاً، إلا أنه ألحقه بما ترجم عليه لاجتماع الجميع في الحكم"، اللآلئ الفريدة (٤٠٧/١). فقد نصَّ في شرحه على "قل"، وأعتذر عن الناظم في عدم ذكرها في ترجمة الباب. وذهب الهَمْدَانِي (ت ٦٤٣ هـ)، والشيخ عبد الفتاح القاضي من المتأخرين (ت ١٤٠٣ هـ) إلى ما ذهب إليه الفاسي في شرحه.

جمع وترتيب أم مریم السكندرية